

Failure in the Qur'an: Its Concept and Causes

Wasan Ali Hussein ¹, Hashim Ja'afar Husein Al-Musawi ^{*2}

¹ MA of Educational for human sciences University of Babylon, Iraq

² Professor of Educational for human sciences University of Babylon, Iraq

*Corresponding author: hashimjaafar5@gmail.com

DOI: [10.22034/jltll.v3i1.29](https://doi.org/10.22034/jltll.v3i1.29)

Received: 22 Mar, 2019

Revised: 23 Nov, 2019

Accepted: 16 Feb, 2020

ABSTRACT

The historical fact proves that between nations and civilizations as well as their failures and disasters there is a very strange relationship. Every nation faces with defeat, in a different way. In other words, it can be said that some of civilizations were destroyed after defeat, and others were not affected by failure and it becomes a point of strength. Germany, for example, which was at the peak of Western civilization at the beginning of the 20th century, then failed in World War I, but refused defeat, so it attacked the world again and failed. It lacked the necessary moral and civilization balance to control sovereignty, and ultimately failed in World War II. On the other hand, Islamic civilization was subjected to constant tensions and successive catastrophes, and local and foreign conspiracies sought to overthrow and defeat it, but each time it emerged more conscious, stronger, and more stable. Although they were able to eradicate this thought at the same time with strengthen the opponents of this civilization, Islamic thought did not disappear, but it revived and stood up against colonialism again. In the present article, the concept of "failure" has been studied literally and idiomatic and it is compared to the human concept of failure, and finally, the Quranic terms of failure are discussed. The term defeat has only been appeared three times in the Qur'an, and the verses in which defeat is mentioned are all talk of infidels and polytheists; as if in the Qur'an, the defeat of Muslims has been eliminated.

Key words: Quran Conceptual Components, Concept of Failure, Causes of Failure.

Downloaded from <http://www.ierf.org> on 2020-06-24

الهزيمة في القرآن الكريم: مفهومها وأسبابها

م.م.وسن على حسين¹، هاشم جعفر حسين الموسوي^{2*}

1. العراق / مديره تربيہ بابل

2. العراق / جامعه بابل / كليه التربيہ للعلوم الإنسانيہ

*الكاتب المسؤول Email: hashimjaafar5@gmail.com

DOI: [10.22034/jltl.v3i1.29](https://doi.org/10.22034/jltl.v3i1.29)

تاريخ القبول: 1441/06/21

تاريخ المراجعة: 1441/03/25

تاريخ الاستلام: 1440/07/15

الملخص

إن الواقع التاريخي يثبت وجود علاقة غابية في الغرابة بين الأمم والحضارات، وما تتعرض له من هزائم وويلات، فكل أمة تتفاعل مع الهزيمة بطريقة مغايرة للأخرى، فبعض الحضارات لا تقبل الهزيمة، إنما تكون الهزيمة لها مصدر قوة، في حين نجد معظم الحضارات تؤدي بها الهزيمة إلى هزائم أخرى، ومن ناحية أخرى تعرضت الحضارة الإسلامية إلى هزات عنيفة ونكبات متتالية، ومؤامرات محلية وخارجية تسعى إلى إسقاطها وإفصالها، لكنها كانت في كل مرة تنهض من جديد أشد وعياً وقوة وضموداً، وتتماز الحضارة الإسلامية من غيرها أنها عصية على الهزائم لا تنكسر بوجه المؤامرات والحملات والأحقاد التي تعرض لها، ويمكن القول إن القاموس القرآني لا يعرف مصطلح الهزيمة، ومما يدل على ذلك: أن مادة هزم باشتقاقها المتعددة لم ترد في القرآن الكريم إلا ثلاث مرات فقط ولعل من طرائف ذلك أن الآيات التي ورد فيها ذكر الهزيمة كلها تتحدث عن الكفرة والمشركين وكأنها تستبعد هزيمة المسلمين. والمادة المدروسة في هذا البحث ستقسم على مبحثين بعد تمهيد يتناول الهزيمة في اللغة والاصطلاح، والمبحثان هما: مفهوم الهزيمة بين المنظور القرآني والمنظور البشري، والمصلحات القرآنية ذات العلاقة بالهزيمة. الكلمات الرئيسية: القرآن، الهزيمة، أسباب الهزيمة.

المقدمة

سنذكر هنا أصل الهزيمة اللغوي ونحاول أن نجد له ربطاً بمعنى الهزيمة الاصطلاحى. فأصل الهزم: غمز الشيء اليابس حتى يتحطم، وهزم الأرض: أى كسر وجهها حتى فاضت بالماء، وتهزم السقاء إذا يبس فتكسر، وهزيمة القتال: انكسار القوم، وهزمت القوم: صرفتهم، وانهزم الجيش: أى تصدع جمعه وتفرق وهرب (ينظر: الصحاح (هزم)، ولسان العرب(هزم)) ويتضح من هذا الأصل اللغوي للفعل هزم، أن الهزيمة من حيث المبدأ تعنى الانكسار أمام العدو، وهذا المعنى يشتمل على جملة من المعانى ذات علاقة واضحة بالهزيمة مثل: التحطيم، والتصدع، والتفرق، والهروب، فهذه المعانى لا شك فى أنها تمثل عوامل وأسباباً وصوراً من صور الهزيمة، فمن أسباب الهزيمة التفرق والهروب، ومن صور الهزيمة الانكسار أمام العدو، وتحطم القوة أمامه.

إن الباحث فى المعنى الاصطلاحى للهزيمة ليجد مشقة فى تتبع المعنى الدقيق لهذا المصطلح، إذ غالباً ما يكتفى العلماء عند ذكرهم لفظ الهزيمة بالقول: إنه معروف، وهى لفظة عامة لا تكشف عن حدود هذا المصطلح وتوثيقه ومعرفة أسبابه، ويمكن أن نحدد فى ضوء المعنى اللغوي لمادة هزم المذكور فى كتب اللغة معنى اصطلاحى لهذا المصطلح فنقول فى تعريفه: (هو: انكسار إرادة النفس أمام حدث معين، أو واقع معين، أو فكر معين، بحيث لا تقوى على مجابهته، فهى تستسلم له دون تفكير فى التخلص منه أو مواجهته).

ملحوظات على التعريف الاصطلاحى:

1. التعريف الاصطلاحى لم يرد فى أى من كتب التفسير، أو الفكر الإسلامى.
2. معظم الباحثين والمؤلفين على اختلاف تخصصاتهم يتعاملون مع مصطلح الهزيمة على أنه أمر بدهى مُسَلَّم فيه، لا يستدعى أن يوضع له تعريف، فهم يبحثون فى أسباب الهزيمة، وصور الهزيمة، وتحليل معظم الهزائم دون البحث فى الحقيقة الفلسفية للهزيمة.
3. لا عذر للعلماء فى عدم تعريف معنى الهزيمة، فوضوح المصطلح وبدهيته لا يعفيهم من عدم وضع تعريف له، فلا بد من تعريف وتحديد المفاهيم والمصطلحات حتى نعرف حقيقة واقعنا وأوضاعنا، وأين نحن من مسألة الهزيمة؟ وحتى نعرف كل أمة واقعها وحقيقتها ما هى عليه، هل هى فى مصاف المنتصرين أو المهزومين؟
4. التعريف العسكرى للهزيمة اقتصر على المعنى المادى المتمثل بالريح والخسارة من الناحية المادية وما يترتب عليه من الفشل فى تحقيق الأهداف، وهو تعريف قاصر يهمل الجانب القيمي والإيمانى فى مسألة النصر والهزيمة، و يهمل كذلك الآثار المعنوية والنفسية المرتبطة بالهزيمة والناجئة عنها.

المبحث الأول: مفهوم الهزيمة بين المنظور القرآني والمنظور البشري

نظرة القرآن إلى الهزيمة:

إنَّ نظرة القرآن الكريم إلى الهزيمة تختلف عن نظرة البشر إليها، فقد ينظر الناس إلى موقف معين على أنه هزيمة، والقرآن لا يراه كذلك، وقد يرى الناس أن موقفاً ما يعد نصراً، والقرآن يراه هزيمة، ففي قصة الأخدود انتصر المؤمنون برغم القضاء عليهم، وما يُرى بالحس الظاهر هزيمة يُعدُّ في نظر الإسلام نصراً، قال تعالى: (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُوداً) (البروج 4-7) في هذه القصة يبدو في حساب الأرض أن الطغيان قد انتصر على الإيمان، وأن الإيمان ليس له وزن في حساب المعركة، لكن القرآن يعلم المؤمنين أن القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة، وأن النصر في أعلى صورته هو انتصار الروح على المادة، والعقيدة على الألم، ففي هذا الحادث انتصرت أرواح المؤمنين على الخوف والألم، وانتصرت على الفتنة انتصاراً يشرف الجنس البشري كله.

ومن ناحية أخرى تختلف نظرة الإسلام للشهيد عن نظرة الناس إليه، فالشهيد في نظر العامة ما هو إلا ميت، وأن استشهاد حصرة وخسارة وكارثة، لكنه في نظر القرآن حي يرزق، وقد نهانا القرآن أن نقول عن الشهيد إنه ميت، قال تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَلكن لا تشعرون) (البقرة: 154)، وأنه لا يجوز أن يخطر ببالنا ولو مجرد خاطر أو إحساس أن الشهيد ميت، قال تعالى: (وَلَا تَحسبنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عند ربهم يرزقون) (آل عمران: 169) فالشهيد حي يرزق ولكن بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى سبحانه، ولا يجوز أن يقال عنهم أموات ولو بالحس والشعور، أو بالشفة واللسان، فهم أحياء بشهادة الله لهم، أنهم قتلوا في الظاهر حسبما ترى العين، لكن حقيقة الموت لا تقررها النظرة السطحية الظاهرة، فهؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله لا تزال فاعليتهم في نصرته الحق مؤثرة، والفكرة التي قتلوا من أجلها لا تزال حية.

التفريق بين الإسلام ديناً ومبدأً والمسلمين بشراً من حيث الهزيمة:

إنَّ الإسلام لا يهزم، وإن الفكر الذي يستند إلى القرآن لا يعرف الهزيمة، وهذا يسبب لنا إشكالاً، فإذا كان الإسلام لا يقبل الهزيمة فما تفسيرنا للهزائم المتلاحقة التي تعرض لها أمة الإسلام؟ وللإجابة عن هذا الإشكال لا بد من التفريق بين الإسلام ديناً وفكراً ومبدأً، والمسلمين بشراً: فالإسلام هو دين الله الذين لا يهزم، قال تعالى: (إنَّ الدين عند الله الإسلام) (آل عمران: 19) وقد تكفل الله بحفظه من التحريف والتزوير والزوال، قال تعالى: (إِنَّا نحن نزلنا الذكرَ وَإِنَّا له لحافظون) (الحجر: 9) والله سبحانه أتم هذا

الدين وأكمّله وارتضاه للناس ديناً ودستوراً، قال تعالى: (اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً) (المائدة: 3). ومن هذه النصوص نخلص إلى القول: إنَّ دين الإسلام هو المرشح لوراثة البشرية وتخليصها من صور الجاهلية، وإنه لا منقذ للناس من شقائهم إلا دين الإسلام، وإنه الوضع الصحيح الذي يمكنه تخليص الناس من انحرافات الجاهلية المقيتة (جاهلية القرن العشرين سيد قطب: 244)

أما المسلمون فهم بشر قاصرون، والضعف البشري سمة تلازمهم، وأن السنن الإلهية تنطبق عليهم كما تنطبق على غيرهم، إذن ليس غريباً أن يهزم مثل هؤلاء المسلمين بسبب بعدهم عن الإسلام، وخلاصة القول نجملها في النقاط الآتية:

1. الإسلام دين الله الذي لا يهزم.
2. المؤمنون الصادقون لا يمكن أن يهزموا نفسياً وروحياً، وإن تعرضوا إلى نكبات وابتلاءات واختبارات وهذا حال الصادقين من المؤمنين الذين لم ييأسوا ولم تضعف عزائمهم برغم ما أصاب الأمة من الوهن والضعف.
3. المسلمون الذين انحرفوا عن دينهم وعقيدتهم، وأصبحوا يقلدون الشرق والغرب، تنطبق عليهم السنن، وقد يهزمون مرات ومرات عقوبة لهم على انحرافهم.

الهزيمة في القرآن الكريم

- ورد الفعل هزم باشتقاقات مختلفة ثلاث مرات فقط في القرآن الكريم (ينظر: المعجم المفهرس (هزم)) وكل هذه المعاني لها معنى واحد جامع هو الانكسار وإلحاق الهزيمة بالكفار، وهذه النصوص القرآنية هي:
- 1- قال تعالى مخبراً عن جيش طالوت المؤمن حين هزم جيش جالوت الكافر: (فهزموهم بأذن الله وتخلّ داود جالوت) (البقرة: 251) أي: غلبوهم بتمكين الله (ينظر: البحر المحيط 268/2)
 - 2- قال تعالى: (سيُهزم الجمع ويولون الدبر) (القمر: 45) أي: سيتفرق جمعهم ويغلبون (ينظر: تفسير كثير 412/3).
 - 3- قال تعالى (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) ص 11 أي: إن جند الكفار مهزوم مكسور قريب، فلا تحزن لعزتهم وشقاقهم، فإنني أسلب عزهم، وأهزم جمعهم، وقد وقع ذلك يوم بدر وما بعده من المواقف (ينظر: الكشاف 45 / 3)

أسباب الهزيمة

ذكر القرآن الكريم أسباباً متعددة للهزيمة المادية التي يعرض لها المسلمون، وألمح إلى أسباب آخر ممكن أن تستخلص من سياق الآيات الكريمة التي وردت في القتال الذي دار بين المسلمين والمشركين، ولعل من أبرز الأسباب الموجبة للهزيمة ما يأتي:

الأول: المعاصي والذنوب

إن الذنوب والمعاصي رأس الفتنة ومحرك الشر، وهي سبب رئيس وعامل مهم من عوامل الهزيمة، فكيف نطلب من الله سبحانه النصر ونحن نعصيه، وقد علمنا سبحانه أن المعصية سبب الهلاك، ولفت أنظار من يقرأ القرآن إلى سنته في إهلاك الأمم بسبب الذنوب والمعاصي، قال تعالى: (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم وأرسلنا السماء عليهم مِدْراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) (الأنعام: 6). وقال سبحانه: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) (الشورى: 30)، و بينت آيات الكتاب العزيز، أن المعصية تستوجب عذاب الله تعالى، قال سبحانه: (قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) (الزمر: 13) وقال تعالى: (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) (الجن: 23) وقد ضرب الله سبحانه على اليهود الذل والمسكنة والغضب الإلهي بسبب ذنوبهم، قال: (وضربت عليهم الذل والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (البقرة: 61) والمعصية تضعف مقاومة المؤمن للشيطان، مما قد يؤدي به إلى التولي عن مواجهة العدو، قال تعالى: (إن الذين تولوا يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان) (آل عمران: 155) فهؤلاء الذين هزموا وفروا قد ضعفوا وتولوا بسبب معصية ارتكبوها، فظلت نفوسهم مزعزعة بسببها، فدخل عليهم الشيطان من ذلك المنفذ واستزلهم فزلوا وسقطوا، وفي هذا تصور لحالة النفس البشرية حين ترتكب الخطيئة فتفقد ثقتها في قوتها، ويضعف ارتباطها بالله، ويختل توازنها وتماسكها، وتصبح عرضة للوساوس والهواجس.

ويُفاجأ القارئ لكتاب الله عز وجل، وهو يقرأ الآيات الكريمة التي تتحدث عن القتال والغزو في جملة أحد، فيجد في سياقها حديثاً عن الربا، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران: 130) ثم يجد حديثاً عن الفواحش وظلم النفس والاستغفار، قال تعالى: (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) (آل عمران: 135) ثم يرجع السياق مرة أخرى إلى واقعة أحد وأحداثها، قال تعالى: (إن يمسسكم

قرحٌ فقد مسَّ القومَ قرحٌ مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذَ منهم شهداءً والله لا يُحبُّ الظالمين) (آل عمران: 138).

وقد يسأل سائل لم جاء الحديث عن الربا، والفواحش، وظلم النفس وسط الحديث عن واقعة أحد؟ وما العلاقة بين ذلك كله وغزوة أحد؟ وأقول إن الله أراد أن يبين أنه لا نصر مع المعصية، أيًا كان نوعها، رباً أم غيرها من الفواحش، فالذنوب والمعاصي تعيق النصر وتمنعه، والقرآن يوجهنا هذه التوجيهات في سياق المعركة الحربية (ليشير إلى خاصية من خصائص العقيدة، هي خاصية الوحدة والشمول، وأن هذا الجمع بين الإعداد والاستعداد للمعركة الحربية وبين تطهير النفوس والقلوب كله من مقومات النصر وضروراته) (في ظلال القرآن: سيد قطب 473/1) والمعاصي التي تكون سبباً في الهزيمة منها ما يكون خارج المعركة، ومنها ما يكون في أثناءها، ومن الأمثلة على المعاصي التي تكون سبباً للهزيمة وهي خارج نطاق المعركة الظلم، فالظلم سبب من أسباب الهزيمة، وسبب من أسباب هلاك الأمم، وسقوط الدول والحضارات وسنة الله تعالى مطردة في هلاك الأمم الظالمة، قال تعالى: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) (يونس: 13)، وقال سبحانه: (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمةً وأنشأنا بعدها قوماً آخرين) (الأنبياء: 11) ومن المعاصي التي تؤدي إلى الهزيمة في أثناء المعركة: معصية أوامر القائد مثل ما وقع للمسلمين يوم أحد من مخالفة الرماة أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: (ولقد صدقكم الله وعده إذ تخشونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) (آل عمران: 152) لقد كانت مخالفة الرماة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرقاً للخطة العسكرية التي وضعها الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم، وكان هذا الخرق سبباً في اضطراب الجيش، وكان هذا الاضطراب سبباً في تحول النصر عن المسلمين.

السبب الثاني: التنازع والفرقة

إن التنازع والفرقة بين المؤمنين من أهم معوقات النصر، ذلك أنه بالتنازع تؤتى الأمة من داخلها لا من خارجها، ولو اجتمعت للأمة كل عوامل النصر ودب الخلاف والشقاق بينها لما تحقق لها نصر، لأن التنازع كفضيل بالقضاء على مقومات النصر، فهو ينخر إيمان الأمة وعقيدتها، وهو يحول الإعداد المادي والمعنوي إلى دمار، كما ركز القرآن الكريم في معنى الوحدة بين المؤمنين، فدعا إلى الوحدة وحث عليها، وربط بين الوحدة من ناحية والتقوى والعبادة من ناحية أخرى، فقال سبحانه: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (الأنبياء: 92)،

وقال عز وجل: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) (المؤمنون: 52) وكأنه سبحانه يريد أن يقول: إن أردتم أن تتوحدوا فلا سبيل أمامكم إلا العبادة وتقوى الله تعالى. ولما كانت وحدة الصف المسلم أمر مهم، أراد الله سبحانه لجند الإسلام أن يقاتلوا عدوهم موحدين صفاً واحداً متيناً منتظماً، قال تعالى: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) (الصف: 4)، لأن هذا البناء المتآلف تتعاون لبناته وتتماسك، وتؤدي كل لبنة فيه دورها وتسد ثغراتها، وتمنع البناء من الانهيار. ومن ناحية أخرى حذر سبحانه من التفرق ونهى عنه فقال عز وجل: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (آل عمران: 103) ونهى سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا متفرقين مختلفين كالذين سبقوهم فقال: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) (آل عمران: 105). وقد بين سبحانه أن التنازع يؤدي إلى الفشل والنكوص، والتراجع عن مواجهة الأعداء، لأن الأمة تشغل بخلافاتها الداخلية وتنسى قضاياها الأساسية وعدوها الرئيس، قال تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (الأنفال: 46)، والمراد أن الله سبحانه نهى عن التنازع والاختلاف في الرأي، لأن ذلك سيؤدي إلى الفشل وهو الجبن في الحرب، ويؤدي أيضاً إلى ذهاب الريح أى ذهاب القوة والنصر، فالهالك علة للفشل، لأنه يجعل الأمة فرقا شتى مما يضعف الأمة، فالأمة المجتمعة قوتها أكبر من قوتها وهي متفرقة لتفرق قوتها على الفرق كلها، وقوة كل فرقة منفردة أضعف من قوة الأمة مجتمعمة، وهذا الضعف العام يجري العدو عليها فيطمع فيها ويهاجمها ويحتل أرضها ويستولى عليها ويستعبدها، ويمسح شخصيتها مما يؤدي إلى انقراضها وهلاكها.

السبب الثالث: الاغترار بالكثرة

إن الاغترار بالكثرة والإعجاب بها عامل من عوامل الهزيمة، والاغترار بالكثرة مغالطة تقوم على أساسين فاسد، مفاده: ما دمنا نحن الأكثر فالنصر لنا، ما دمنا نحن الأغلبية فالحق والعدل والخير معنا، وهذا منطق فاسد لأنه يعتمد على أساس مادي بعيد عن منطق الإيمان، لقد غفل أصحاب هذا المنطق أن النصر بيد الله، وغفلوا عن قدرة الله سبحانه القادرة على قلب الموازين، فهو الذي يجعل الكثرة قلة والقلة كثرة، ونسى هؤلاء أن الكثرة الغالب مدعاة إلى الركون والإهمال وسوء الإعداد، ومن ثم ما هي إلا غطاء كغشاء السيل لا فائدة منه، وهي عدو على الأمة إذا لم تسخر وتفعل بكيفية تجعلها مثمرة منتجة. لقد أشارت آيات الكتاب العزيز في أكثر من آية وسيق إلى ظاهرة الكثرة، وبين سبحانه في كثير من المواقف القرآنية أن العبرة ليست بالكثرة، وأن الاغترار بالكثرة سمة من سمات هذه المجتمعات الجاهلية، وفي هذا السياق نفى سبحانه أن يكون أكثر الناس مؤمنين، لأن الكثرة لا يعول عليها، قال تعالى: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (يوسف: 103) بل أشار سبحانه إلى

أن أكثرهم فاسقون خارجون عن طاعته، قال سبحانه: (فمنهم مهتدٍ وكثيرٌ منهم فاسقون) (الحديد: 26) وبين سبحانه أن الغالبية من الناس ينماز بسوء العمل، قال سبحانه مخبراً بنى إسرائيل: (منهم أمة مقتصدة وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون) (المائدة: 66) ففي هذه الآية بين سبحانه أن من بنى إسرائيل طائفة معتدلة، ولكن الأكثرية هم الذين ساءت أعمالهم. وقد حذر سبحانه من طاعة هذه الأكثرية الضالة وبين أن طاعتهم تؤدي إلى الضلال والهلاك، فقال: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) (الأنعام: 116) والمقصود هنا أن أكثر الأمم في عهد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا ضلالاً يغلب عليهم الشرك، وتاريخ تلك العصور يؤيد ذلك، فأهل الكتاب من اليهود والنصارى تركوا هداية أنبيائهم، وأهل الوثنية أيضاً كانوا بعيدين عن هداية الأنبياء والرسل، وفي المقابل دلت الآيات أن اتباع الرسل في الغالب هم القلة النادرة التي يعول عليها، قال سبحانه في قصة نوح عليه السلام: (وما آمن معه إلا قليل) (هود: 40) وقال تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليلٌ ما هم). ص 24

وتبرز سمة الاغترار بالكثرة في منطق الجاهلية الزائف، فهم يحتجون في كثير من المواقف على صحة باطلهم بدعوى أنهم الأكثرية، قال تعالى مخبراً عنهم: (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين) سبأ 35، لقد افتخر هؤلاء بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل محبة الله لهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة. ومن أبرز النماذج القرآنية التي تجسد بطلان فكرة الأكثرية وعدم أحقيتها بالنصر ما آلت إليه قصة طالوت، إذ انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الغافلة، وانتهت القصة بسنة إلهية سجلها القرآن الكريم بقوله سبحانه: (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) (البقرة: 249). والغزوات الفاصلة في التاريخ الإسلامي تظهر أن الكثرة لا قيمة لها إذا لم تعزز بعوامل أخرى تجعلها أكثر فاعلية وإنتاجاً. ففي غزوة بدر كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وفي المقابل كان المشركون تسعمئة وخمسين رجلاً، وفي الخندق كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف رجل في حين كان المشركون عشرة آلاف رجل عدا بنى قريظة، وفي غزوة مؤتة كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف رجل، في حين بلغ عدد الروم ومن معهم مئتي ألف رجل (ينظر: أبعاد الغاية في معرفة الصحابة: 109) ومع هذا الفارق الواضح في العدد والعدة إلا أن المسلمين انتصروا في هذه الغزوات. وأما حنين فكانت من المعارك القليلة التي تفوق فيها عدد المسلمين على عدوهم أضعافاً، فقد بلغ عدد المسلمين فيها اثني عشر ألفاً مقابل قبيلتي هوازن وقيظ (ينظر: المصدر نفسه: 363)، ولكن هذه الزيادة في عدد المسلمين في حنين لم تكن كافية لثمن إذ اغتروا بعددهم، قال تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم

شیئاً وضاقت علیکم الأرض بما رُحبتُ ثم تولیتم مدبرین) (التوبة: 25) ففي هذه الغزوة اعتقد المسلمون أنهم الأكثر، وأنهم لن يغلبوا من قلة فانهمزوا في بداية الغزوة بسبب خلل أصاب النفوس ألا وهو الإعجاب بالكثرة ونسيان الله عز وجل، لقد تناست القلوب في حنين سبب النصر الحقيقي وأعجبت بالكثرة وأخذت بها، فكان في حنين هذا الدرس القيم، فكانت أحداثها نتيجة طبيعية للانشغال عن الله والاعتماد على قوة غير قوته.

المبحث الثاني: المصطلحات القرآنية ذات العلاقة بالهزيمة

الأول: الهلاك

الهلاك في اللغة مشتق من هلك يهلك هلكاً وهلكاً وهلاكاً بمعنى: مات، والتهلكة: الهلاك، وكل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك، والهالك: الشيء الذي يهوى، والاهتلاك: رمى الإنسان نفسه في تهلكه، والهلوک الفاجرة، وتهالك على الفراش والمتاع: سقط عليه. (ينظر: العين 3/ 377، وديوان الأدب 1/ 266، والمحيط في اللغة 3/ 358)

وقد ورد الهلاك في القرآن الكريم بعدة أوجه، هي:

- 1- الموت، ومنه قوله تعالى: (إن أمرؤ هلك) (النساء: 176)
- 2- العذاب، ومنه قوله تعالى: (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورءياً) (مريم: 74)
- 3- الضلال وافتقاد الشيء، ومنه قوله تعالى: (هلك عنى سلطانية) (الحاقة: 29)
- 4- الفساد، ومنه قوله تعالى: (ويهلك الحرث والنسل) (البقرة: 205)
- 5- بطلان الشيء من العالم وعدمه، ومنه قوله تعالى: (كلُّ شيء هالك إلا وجهه) (القصص: 88)

الإهلاك بعد الإنذار

اقتضت حكمة الله تعالى وعدله ألا يعذب قوماً قبل أن ينذرهم، قال سبحانه: (وما أهلكنا من قرية إلا بآياتنا منذرنا) الشعراء 208 وقال سبحانه: (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) (القصص: 59) أي: (وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى حتى يبعث فيهم رسولاً لإلزام الحجة وقطع المعذرة، وهذا بيان لعدله وتقده عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم، ولا يهلكهم إلا بعد تأكيد الحجة عليهم) (الكشاف 3/ 186)

أسباب الهلاك:

سنة الله تعالى في إهلاك الأمم الغابرة تقوم على أسباب، فقد أرسل الله الرسل إلى الأمم بالتوحيد والإيمان، ومكارم الأخلاق، إلا أن تلك الأمم تنكبت طريق الرسالات السماوية وحكمت على نفسها بالهلاك بسبب ممارسات وسلوكيات وانحرافات منها:

- 1- الظلم: قال تعالى: (وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير) (الحج: 48) هذه سنة الله في القرون الماضية، والأمم الخالية، حكمنا بإهلاكهم حين ظلموا وأمهلناهم إلى حين بلوغ الغاية.
 - 2- البطر والترف: قال تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) الإسراء 16 وقال تعالى: (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون). (النحل: 112)
 - 3- الذنوب: قال تعالى: (فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) (الأنعام: 6)
- إن هذا النص القرآني يقرر حقيقة قرآنية، وسنة إلهية وطرفاً من التفسير الإسلامي للأحداث والتاريخ، إن الذنوب تهلك أصحابها، إن هلاك الأجيال من عوامل فعل الذنوب، وتأثيرها في إنشاء حالة تنتهي إلى الدمار، إما بقارعة من الله عاجلة، وإما بالانحلال الفطري البطيء الذي يسرى في كيان الأمم.

الثاني: التولية

ذكر ابن فارس: أن الواو واللام والياء: أصل واحد صحيح، ليدل على قرب، من ذلك: الولى: القرب، يقال: تباعد بعد ولى، وجلس مما يلينى. والمولى: المعتق، والصاحب، والحليف، وابن العم، والناصر، والجار، كل هؤلاء من التولى، وهو القرب (ينظر: مقاييس اللغة (ولى)). وولى الرجل: إذا أدبر، وولى الشيء وتولى: أدبر، وولى عنه: أعرض عنه أو نأى، والتولية تكون انصرافاً، يقال: ولى الشيء وتولى ذهباً ركباً ومدبراً، وتولى عنه إذا أعرض. (ينظر: المحيط في اللغة 10 / 380)

فالتولى إذن إعراض وهروب وانصراف أمام العدو، وهو أسوأ أشكال الهزيمة أمام العدو، إذ ينكفى الخوف أمام خصمه مدبراً غير مقبل، لذا توعده الله المؤمنين بالغضب ودخول جهنم إن كانوا على هذه الصفة، قال تعالى: (ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) (الأنفال: 16)

التولية في القرآن الكريم:

ورد الفعل تولى على صور عدة في القرآن الكريم، وقد تعددت صورته واشتقاقاته حتى بلغت (250) موضعاً في القرآن الكريم (ينظر: المعجم المفهرس (ولى)). بمعان أربعة، هي: الانصراف، والإباء، والإعراض، والهزيمة. (ينظر: المفردات: 533)

1- يأتي بمعنى الانصراف ومنه قوله تعالى: (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) (التوبة: 92)

2- بمعنى أوى، ومنه قوله تعالى: (فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم). (المائدة: 49)

3- يأتي بمعنى الإعراض، ومنه قوله تعالى: (ومن تولي فما أرسلناك عليهم حفيظاً) (النساء: 80)

4- يأتي بمعنى الهزيمة، ومنه قوله تعالى: (فلا تولوهم الأدبار) (الأنفال: 15)

وأكثر ما استعملت دالة على الهزيمة على سبيل الكناية، مقرونة بلفظ (الإدبار) من ذلك قوله تعالى في الكافرين والمنافقين: (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار) (الفتح: 22) وقوله عز وجل: (وإن نصره ليلون الأدبار ثم لا ينصرون) (الحشر: 12) وقوله سبحانه: (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) (آل عمران: 111) وقوله جلّ وعلا: (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار) (الأحزاب: 15)، ولعل في هذه الاستعمالات القرآنية ما يدل دلالة أكيدة على أن الفشل والهزيمة ستكون من نصيب المشركين في لقاءاتهم مع المؤمنين.

ولقد عدل السياق إلى طريقة الكناية عن الانهزام إمعاناً في إذلال المشركين، لأن تولية الأدبار هي فعل من خارت عزيمته وجبن ولم يقوَ على المواجهة في الحرب لأن المنهزم يحول ظهره إلى جهة الطالب، هرباً إلى ملجأ وموئل يؤول إليه منه خوفاً على نفسه، والطالب في إثره، فدبر المطلوب حينئذ يكون محاذياً واجهه الطالب.

وفي السياق إشعار بأن المشركين مهما جمعوا أمرهم لإيقاع الضرر بالمؤمنين فإنهم منهزمون من غير أن يظفروا بشيء، يقول الزمخشري في قوله تعالى: (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون): (فإن قلت: فلا جزم المعطوف في قوله (ثم لا ينصرون)... قلت: لو جزم لكان نفى النصر مقيداً بمقاتلتهم كتولية الأدبار، وجبن رفع كان النفي وعدا مطلقاً، كأنه قال: ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية لهم مخدولون منتفٍ عنهم النصر والقوة، ولا ينهضون بجناح، ولا يستقيم لهم أمر) (الكشاف 455/1)

إن (ينصرون) في الآية الكريمة إنما لم يجزم، لأنه ليس معطوفاً على الجواب، بل هو إخبار جديد.

مشروطاً بالمقاتلة، فكأن المعنى: ثم أخبركم أنهم لا ينصرون أو أن يكون على إرادة الحال (ينظر معاني النحو/3/380)

وذكر هذا الاستعمال في شأن المسلمين أيضاً، قال تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم توليتهم مدبرين) (التوبة: 25)، وإنما خصّ سبحانه (يوم حنين) بالذكر من بين أيام الحرب، لأن المسلمين انهزموا في أثناء القتال، ثم عاد إليهم النصر، فتخصيصه بالذكر، لما فيه من العبرة بعد التولية عن رسول الله (ص)، لأن النصر معقود بامتثال أوامره التي هي أوامر الله سبحانه (ينظر: التحرير والتنوير 155/1)

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار) (الأنفال: 15)، وقد ورد الحال (زحفاً) مصدراً جامداً، وقد كثر في السماع الصحيح ورود الحال مصدراً، ومنه قوله تعالى: (ثم ادعوهن يأتينك سعيًا) (البقرة: 260)، و: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية) (البقرة: 274)، وغير ذلك كثير، وعلى الرغم من هذه الكثرة لم يعد النحويون مجيء الحال بهذه الصورة حقيقياً وحملوا ذلك على الاتساع إلا المبرد جعل الحال المصدر حقيقياً، إن كان فيه نوعاً من عامله نحو: (أقبل ركضاً)، لأن الركض نوع من الإقبال، وتابع النحويين فيما عدا ذلك (ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 3/3-4) ولا مسوغ لإنكار النحويين قياس الحال المصدر، لكثرتة في السماع، كثرة تعضد قياسه.

ومن استعمال هذه المادة أيضاً في شأن المسلمين قوله تعالى: (ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله) (الأنفال: 169)،

ونستشف من سياق الآية وجهاً بلاغياً مميزاً، إذ حذفت الجملة المضافة بأكملها في قوله تعالى: (يومئذ) أي: يومئذ لقيتم الكفار، اكتفاء بما قبلها، وهو قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار) والغرض من ذلك التهويل.

الثالث: الفرار

الفرار في اللغة: الروغان والهرب، فرّ يفرُّ فراراً: هرب. وأصل الفرّ: الكشف عن سن الدابة، ومنه الافتراء وهو ظهور السن من الضحك، وفرّ عن الحرب فراراً، والمفرّ المكان الذي ينتهي إليه الفارُّ (ينظر: لسان العرب (فرر) و يلاحظ هنا أن الفرار هروب وروغان وانهزام أمام العدو، وهو عمل مخجل للإنسان، لأن الذي يفرّ أمام خصمه يشعر بالعجز وعدم القدرة على مواجهة خصمه، وهو يؤدي إلى الشعور بالخزي والذل أمام العدو.

وفى القرآن الكريم:

يأتى على عدة أوجه هي:

١. الهرب، ومنه قوله تعالى: (ففرّتُ منكم لَمَّا خفّتمكم) (الشعراء: 21)
٢. الكراهة ومنه قوله تعالى: (قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم) (الجمعة: 8)
٣. عدم الالتفات، ومنه قوله تعالى: (يوم يفرّ المرء من أخيه) (عبس: 34)
٤. التباعد، ومنه قوله تعالى: (فلم يزدكم دعائى إلا فراراً) (نوح: 6)
٥. التوبة واللجوء إلى الله، ومنه قوله تعالى: (ففرّوا إلى الله) (الذاريات: 50)

المنافقون والفرار من القتال:

اقترن النفاق بالفرار من القتال، ولعل سبب ذلك ما يتمتع به المنافقون من جبن فهم جبناء لا يقدرّون على مواجهة العدو، لذلك تراهم يتحينون الفرص للفرار من القتال، فكانت عاداتهم فى كثير من المعارك التعلل بأعذار كاذبة، حتى يُعفى الواحد منهم من مهمة القتال، لكن القرآن كشفهم وأظهر حقيقتهم وبين أن الهدف من هذه الأعذار إنما هو الفرار من القتال قال سبحانه: (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبى يقولون بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً) (الأحزاب: 13) فهم يحرضون أهل المدينة على ترك الصفوف والعودة إلى بيوتهم بحجة أن إقامتهم أمام الخندق مرابطين لا موضع لها ولا محل، وبيوتهم معرضة للخطر، وهي دعوة خبيثة تأتي النفوس من الثغرة الضعيفة، ثغرة الخوف على النساء والذري، والحقيقة أنهم لا يريدون إلا الفرار من القتال.

الرابع: المصيبة

المصيبة فى اللغة: مشتقة من صاب يصوبُ والصوب: نزول المطر، وصاب السهم نحو الرمية يصوب صواباً، أصابته مصيبة فهو مصاب، والمصيبة ما أصابك من الدهر، والمصيبة أصلها فى الرمية ثم اختصت فى النائية (ينظر: المصدر نفسه (صوب))

المصيبة في القرآن:

ورد هذا الفعل بصيغ عدة في كتاب الله بلغت سبعاً وسبعين موضعاً، أما لفظه مصيبة فقد ورد ذكرها صريحاً في القرآن الكريم عشر مرات (ينظر: المعجم المفهرس (صوب))، وقد جاء الفعل أصاب في القرآن للدلالة على الخير والشر (ينظر: المفردات (صوب) 495_496) ولا شك في أن العلاقة بين المصيبة والهزيمة وثيقة وظاهرة، فالهزيمة ما هي إلا مصيبة وكارثة تقع على الأمة وأفرادها حين تقع الأمة تحت سطوة العدو الغاشم فيذيقها شتى أصناف التعذيب والأذى والإهانة.

المصيبة التي يصاب بها المسلم من نفسه:

النفس البشرية بطبيعتها الأنانية تميل إلى تبرئة نفسها من الهزائم والمآسى عند وقوع المصائب، وتلقى باللوم على الآخرين، لتثبت أنها على صواب، وأنها لم تخطئ، بل إن غيرها هو الذي يخطئ، لكن المنهج الإلهي رد الأمور إلى نصابها، وكشف للمؤمنين عن مصدر الخلل، ففي يوم أحد، أخذ المسلمون يتساءلون أنى هذا؟ من أين هذا يارب؟ ولماذا أصابنا ما أصابنا؟ فأجابهم سبحانه: (أو لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أُنَى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران: 165) والمراد هنا أن أنفسكم هي التي تخلخلت وفشلت وتنازعت، وأنفسكم هي التي أخلت بشروط النصر، فهي التي خالجتها الأطماع والهواجس، وهي التي عصت الله ورسوله، وهذا الذي تستغربونه إنما هو من عند أنفسكم، فقد انطبقت سنة الله عليكم حين عرضتم أنفسكم لها.

فالمصيبة إذا وقعت فهي قدر الله تعالى، فيصاب المسلمون، أو تحل بهم كارثة، فيجزع المؤمنون، ويصابون بالإحباط واليأس والقنوط، وقد ينحرف بعضهم عن الجادة، إلا أن المنهج الإلهي يعالج هذا الخلل، ليعيد النفس المؤمنة إلى مكانتها الصحيحة، فهو ينبه على أن المصائب ما هي إلا قدر من الله تعالى وما على المؤمن إلا أن يصبر ويرضى بقدر الله تعالى، ولهذا نجد القرآن يخاطب النفس الإنسانية ويقول (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) (الحديد: 22)، ويقول أيضاً: (قل إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (التوبة: 51)

فالقرآن هنا يريد أن يعالج مصيبة حلت، ويخشي من آثارها المعنوية والنفسية على المؤمنين.

الخامس: الخزى:

الخبزى فى اللغة من خزى فلان يخبزى خبزياً، وهو من السوء، والله أخزاه وأقامه على خزى والخبزى فى الرجل: لحاقه انكسار، إما من نفسه وإما من غيره، فالذى يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط، والذى يلحقه من غيره هو ضرب من الاستخفاف، والخبزاية: شدة الاستحياء، وأصابتنا خزية: أى خصلة يستحيا منها (ينظر: العين 290-291، والمفردات: 381) ويلحظ هنا أن المعانى الرئيسة التى تدور عليها كلمة الخزى هى: السوء وفعل القبيح، والانكسار، والاستحياء، وكل هذه المعانى ذات علاقة ظاهرة بالهزيمة، فالهزيمة أمر سىء وفعل مستقبح تستحى منه النفس، وليس هذا المعنى غريباً علينا، فالأمة المهزومة تشعر بالعار القبيح، والدونية والانكسار والفشل.

. الخزى فى القرآن:

ورد الفعل خزى بصيغ عدة بلغت ستة وعشرين مرة فى القرآن الكريم (ينظر: المعجم المفهرس (خزى)) وجاءت على ثلاثة أوجه:

١. الذل والهوان: ومنه قوله تعالى: (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتته) (آل عمران: 192).

٢. الفضيحة: ومنه قوله تعالى: (فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى) (هود: 78)

٣. العذاب: ومنه قوله تعالى: (فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا) (الزمر: 26)

لو تأملنا فى هذه المعانى القرآنية التى دلت عليها كلمة الخزى لأدركنا العلاقة الوطيدة بين الخزى والهزيمة، فالخبزى أثر ونتيجة من نتائج الهزيمة، ذلك أن حياة الأمة المهزومة حياة ذل وهوان وانكسار، بسبب ما توهى الهزيمة من ضعف وخور وعجز، ولا شك أن الهزيمة فيها معنى الفضيحة حين تشعر الأمة أنها قصرت فى أداء أعدائها، وهى نوع من العذاب والقتل لما تتعرض له الأمة المهزومة من صور التقتيل والجراح والإهانات المادية والمعنوية على أيدي خصومها، فضلاً عما قد يرافق ذلك من إجلاء عن أرض أو تسليم لممتلكات.

السادس: الذل:

الذل فى اللغة يدل على: الخضوع والاستكانة واللين، فالذلّ: ضد العزّ، ورجل ذليل بين الذل والمذلة قوم أذلاء وأذلة، ويقال منه: أذله واستذله وتذلل له، أى: خضع (30) والذليل: هو الذى يغلب عليه كل شيء

سواء أكان بالقهر، كقوله تعالى: (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) (البقرة: 61) أم بالاختيار، قال تعالى: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) (الإسراء: 24)

وقد فرق أبو هلال العسكري (395هـ) بين الذل والخزي بقوله: (الخزي: ذل مع افتضاح، وقيل: هو الانقماع، لقبح الفعل، والخزاية: الاستحياء، لأنه انقماع عن الشيء لما فيه من العيب) (الفروق اللغوية: 207) وفرق بين الذل والضعف بـ (أن الضعة لا تكون إلا بفعل الإنسان بنفسه، ولا يكون بفعل غيره وضيعاً كما يكون بفعل غيره ذليلاً) (المصدر نفسه: 208)

والذل ما كان عن قهر، والذل بكسر الهمزة ما كان بعد تصعب من غير قهر، والذل متى كان من جهة الإنسان لنفسه فهو محمود كقوله: (أذلة على المؤمنين) (المائدة: 54) بهذا تبين علاقة الذل بالهزيمة، فالذل أثر من آثار الهزيمة، والهزيمة ذل واضح لما فيها من فقدان معنى العزة والكرامة، وهي صورة من صور الخسة لما فيها من خضوع لإرادة العدو واملاءاته وقهره.

الذل في القرآن:

وردت كلمة ذل بصيغ متعددة في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة (ينظر: المعجم المفهرس (ذل))، بمعانٍ ثلاثة:

1. القلة: ومنها قوله تعالى: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) (آل عمران: 123)
 2. التواضع: ومنها قوله تعالى: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) (الإسراء: 24)
 3. السهولة: ومنها قوله تعالى: (وذُلت قلوبها تذيلاً) (الإنسان: 14)
- وثمة ملمح دلالي يلاحظ في آيتين من آي الذكر الحكيم، ورد فيهما لفظ (الذلة)، هما: قوله تعالى: (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (البقرة: 61) وقوله تعالى: (ضربت عليهم الذلة أين ما تقفوا إلا بحيل من الله وحبيل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (آل عمران: 112)
- ففي الآية الأولى ورد لفظ (الحق) معرفاً، وفي الثانية منكرأً، والذي يظهر أن تنكير الحق في هذه الآية جاء في مقام الزيادة في الذم والمبالغة في التشنيع. واستدل بعض العلماء على أن موطن الذم والتشنيع في الآية الثانية التي ورد فيها لفظ (الحق) منكرأً أكبر منه في الآية الأولى التي ورد فيها معرفاً بأدلة منها:

ا- أنه في الآية الأولى جمعت (الذلة والمسكنة) في موضع واحد معاً من دون تأكيد، وفي الثانية أكد وكرّر وعمّم فقال: (ضربت عليهم الذلة أين ما تقفوا) فجعلها عامة، ثم قال: (وضربت عليهم المسكنة) فالفعل وحرف الجر زيادة في التوكيد.

ب - ورود لفظ (النبیین) مجموعاً جمع قلة في الآية الأولى، ومجموعاً جمع كثرة في الثانية، فالتشبيح عليهم والعب على فعلهم وذمهم في سورة آل عمران أشد، ومن هنا يتبين أن التعريف في آية البقرة أليق، والتشبيح في آية آل عمران أليق (التعبير القرآني: 171)

ونلاحظ في سياق الآيتين أسلوباً بلاغياً متميزاً هو (الاستعارة)، ف (ضرب الذلة وضرب المسكنة) فيهما دلالة على ملازمة الذلة والمسكنة لليهود، وظهور أثرهما فيهم، فلا خلاص لهم منهما، فهما محيطتان بهما، كما تضرب الخيام والقباب (ينظر: الكشف 145/1)

ولما كان المنافقون أشدّ عداوة للمسلمين وخطراً على الإسلام، عبّر القرآن الكريم عن ذلهم بقوله: (إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين) (المجادلة: 20) ومن استعمال صيغة التفضيل (الأذلين)، وسبقها بحرف الجر (في) الدال على التمكن في الشيء، مع اسم الإشارة (أولئك) يستفاد أن الذلة قد تركزت في هؤلاء وجبلوا عليها، فلا ترى أحداً أذلّ منهم في الدنيا بإظهار الله إضعافهم وإطلاع المسلمين على حقيقة نواياهم الخبيثة وانكسار شوكة نفاقهم بانتصار الإسلام وعلو شأنه، كما أنهم أذلاء في الآخرة، لأنهم في الدرك الأسفل من النار.

ووصف المؤمنون بالذلة أيضاً، قال تعالى في شأن غزوة بدر: (ولقد نصركم الله بدير وانتم أذلة) (آل عمران: 123)، ومن سياق الآية يفهم أن المراد بالذلة: الذلة الظاهرية، كقلة عددهم في المعركة فقد كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً ليس معهم من المنعة ما يقيهم بأس عدوهم، أو: أن المراد بها استدلال المشركين لهم في المعركة، ونظرتهم إليهم بأنهم قليلون أذلة (ينظر: الكشف 411/1).

السابع: الغيظ

قال ابن فارس: (الغين والياء والضاء أصل واحد يدلّ على كرب يلحق بالإنسان من غيره يقال: غابظ يغيبظني ورجل غائظ وغياظ) (مقاييس اللغة (غيظ)) وقال الجوهري (في حدود 400هـ): (الغيظ: غضب كل من للعاجز) (الصحاح (غيظ)) والغيظ عند الراغب: شدة الغضب وفوران الدم للانتقام (المفردات 368) وفرق أبو هلال العسكري بين (الغضب والغيظ) بأن: (الغضب: إرادة الضرر للمغضوب عليه، وأما الغيظ: فيقرب من باب

الغم، لذلك يجوز أن يغتاظ الإنسان من نفسه ولا يجوز أن يغضب عليها، إذ ليس من المعقول أن يريد الإنسان الضرر لنفسه) (الفروق اللغوية: 106)

وقد ذكرت هذه اللفظة في (في ظلال القرآن: سيد قطب 473/1) موضعاً في القرآن الكريم (ينظر: المعجم المفهرس (غيظ)) واستعملت في شأن المؤمنين وفي شأن المشركين، قال تعالى في غزوة الخندق: (ورد الله الذين كفروا بغيظهم) (الأحزاب: 25) أي: ردهم سبحانه متلبسين بغيظهم الذي كانوا عليه من أول دعوته - صلى الله عليه واله وسلم - إلى زمان هزيمتهم في هذه المعركة الفاصلة 0 (ينظر: تفسير النسفي 310/3) وفي استعمال (الباء) وإضافة (الغيظ) إلى (ضميرهم) دلالة على أن الغيظ قد لا يس قلوبهم ونفوسهم وكيانهم كله واستقر فيه فلا خلاص لهم منه.

وعبر سبحانه عن (غيظ) فرعون على موسى (ع) وصحبه، فقال: (إن هؤلاء لشردمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون) (الشعراء: 54-55) والتعبير بـ (اسم الفاعل من فرعون مع تأكيده باللام) فيه دلالة على استقرار المؤمنين في إغاطة فرعون، بفعل أعمال تؤذيه وتكدر صفوه، فله العذر إذن في محاولة استئصالهم والقضاء على دعوتهم، و أن فيه إشارة إلى أن هذه الفئة القليلة كانوا طائفة صادقة الإيمان، ثابتة الجنان، لا تعباً بجبروت فرعون وطغيانه، بل يصدر عنها عمل يغيظ صدره، ويسلب راحته (ينظر: الكشاف 252/2) وفي إسناد (الغيظ) إلى ضمير الواحد المعظم نفسه (غائظون) إشعار بأن الغيظ قد استولى على المغتاظ، وتمكن من كيانه كله.

وأما (غيظ المؤمنين)، فقال سبحانه وتعالى فيه: (ويذهب غيظ قلوبهم) (التوبة: 15)

وفي إسناد (الغيظ) هنا إلى (القلوب) إشعار بأن الغضب لم يستول عليهم، ويتمكن منهم، ويستقر فيهم، لأن في الغضب المستمر تعطيلاً للملكات الإنسانية الأخرى، بل غضب المؤمنين زائل برحمة الله ولطفه لهم، ومنه عليهم بالنصر، وإعلاء كلمة الدين، وإنجاز مواعيده سبحانه لهم.

نتائج البحث

1- قضية النصر والهزيمة من القضايا الكبرى التي شحّ الحديث عن تعريفهما في الكتب اللغوية والإسلامية والفكرية بشكل عام، ولعل سبب هذا الشح أن العلماء يتعاملون مع النصر والهزيمة كأمر واقع، وبدهيات معروفة لا تحتاج إلى تعريف. ولا عذر لعدم إيجاد تعريف واضح للنصر والهزيمة لأن تعريف كل من النصر والهزيمة من شأنه أن يشخص لنا حالتنا التي نحن عليها، وهل نحن في حالة نصر أو هزيمة!!

2- أورد القرآن الكريم مصطلحات عدة ذات علاقة بالهزيمة مثل: الهلاك، والتولي والفرار، والمصيبة، والخزي، والذل، والغيظ، وهذه المصطلحات القرآنية أوردتها القرآن منها ما هو سبب للهزيمة كالتولي والفرار، ومنها ما يمثل آثاراً ونتائج للهزيمة كالخزي، والذل، والهوان، والهلاك، وهكذا.

3 - من الظواهر الجديرة بالدراسة والبحث تفاعل الحضارات مع الهزائم، فهناك حضارات تقضى عليها الهزيمة وتدفعها، ومن الحضارات ما تتعشها الهزيمة وتوقظها من جديد.

4- الحضارة الإسلامية لا تقبل الهزيمة ولا تستسلم لها برغم كل المؤامرات والتكالب الدولي والعالمي عليها، وهنا لا بد من التفريق بين الإسلام ديناً ومبدأً وفكراً، و المسلمين كواقع وأفراد، فالحضارة الإسلامية من حيث الفكر والمبدأ لا يمكن أن تقبل الهزيمة، أما المسلمون أفراداً وجماعات فقد يهزمون إذا انطبقت عليهم سنن النصر ولم يؤدوا استحقاقات النصر والتزاماته.

5- للهزيمة عوامل وأسباب مهيئة لها منها: الذنوب والمعاصي، فالنصر تكريم من الله لعباده، وكيف يكرم الله العصاة والمذنبين!! ولا يمكن في المنظور الإسلامي أن يجتمع النصر مع المعصية، ونحن إنما نتنصر بطاعة الله ومعصية عدونا له، فإذا استوينا معه في المعصية كانت لهم الغلبة علينا. والتنازع والفرقة مرض عضال، يدق أسنن الفشل والهزيمة بين أبناء الأمة، ولا يمكن لأمة متناحرة متفرقة مشتتة أن تنتصر لأنها ستتشغل بخلافاتها ومشاكلها الداخلية وتترك عدوها يلهو بها كيف يشاء. والاعتزاز بالكثرة مرآة خادعة، ووجه كالح يودي بالأمة إلى الهزيمة لأنها اعتقدت اعتقاداً خاطئاً أنها قد تحقق النصر بمعزل عن الله.

مصادر البحث ومراجعته

- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري، (1989)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط 4، دار الفكر.
- ابن هشام، عبد الله بن هشام، (1974)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ط 6، دار الفكر للطباعة.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، (دت)، البحر المحيط، الرياض: مطابع النصر الحديثة.
- محمد الطاهر بن عاشور، (دت) التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر.
- إسماعيل بن كثير، (1989) تفسير ابن كثير، ط 3، دار المعرفة بيروت.
- الفخر الرازي، محمد بن عمر، (1938) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، المطبعة البهية المصرية.
- سيد قطب، (1964) جاهلية القرن العشرين، ط 1، مكتبة وهبة.
- إسحاق بن إبراهيم، (1975) ديوان الأدب: الفارابي (ت 350هـ)، تحقيق: أحمد مختار عمر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد (دت) الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مصر: دار الكتاب العربي.
- الخليل بن أحمد (دت) العين، تحقيق: مهدي المخزومي ود. إبراهيم أنيس، دار ومكتبة الهلال.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، (1981) الفروق اللغوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- سيد قطب (1978) في التاريخ فكرة ومنهاج، ط 2، مصر: دار الشروق.
- سيد قطب (1979) في ظلال القرآن: ، ط 2، بيروت: دار الشروق.
- الزمخشري، محمود بن عمر (دت)، الكشاف، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (1968) لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- صاحب بن عباد (1994) المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، ط 1، عالم الكتب.
- فاضل السامرائي (1991) معاني النحو، بغداد: مطابع دار الحكمة.
- هاني عبد الرحيم العزيمي (2005) معجم مصطلحات الجغرافيا العسكرية والسياسية، ط 1، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع.

- عبد الباقي، محمد فؤاد (1945) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (دت) المفردات، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة للطباعة.
- ابن فارس، احمد بن زكريا (1979) مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمدهارون، بيروت: دار الفكر.

Acknowledgements

We would like to express our thanks to reviewers for their valuable suggestions on an earlier version of this paper.

Declaration of Conflicting Interests

The author(s) declared no potential conflicts of interest with respect to the research, authorship and/or publication of this article.

Funding

The author(s) received no financial support for the research, authorship, and/or publication of this article.

REFERENCES

- Ebn Al-athir, E., (1989) *"Asada Al-ghabah fi maerifah Al-sahabeh"*, 4th edition, dar Al-fekr Publications.
- Ebn hesham, A. (1974), *"Awzah Al-masalek 'ilaa Al-fia ebn malek"*, 6th edition, dar Al-fekr Publications.
- Abu hayan ,M. (No date). *"Al-bahr Al-muhit"*, Al-riyaz: Al-nasr Al-haditha Publications.
- Mohammad Al-taaher. (No date), *Al-tahrir wa Al-tanwir"*, Al-daar Al-tuwnisiah Publications.
- lismaeil bin kthir, (1989) *"Tafsir ebn kathir"*, 3th edition , Bayrut: dar Al-maerifah Publications.
- Al-fakhr Al-raazi, M. (1938). *"Al-tafsir Al-kabir (Mafatih Al-ghayb)"*, Al-bahia Al-mesriah Publications.
- Seyyed qotb. (1964). *"Jahilia Al-qarn Al-eshrin"*. 1th edition, Maktaba waebah Publications.
- Al-shaq bin 'iibrahim, (1975). *"Diwan Al-adab: Al-farabi"*, Research :Ahmad mukhtar umar, Al-hi'at Al-ama li shuuwn Al-'amiriah Publications.
- Al-Jawaheri, I. (No date). *"Al-sehah"*, Research: Ahmad abd Al-ghafur eitar, Egypt: dar Al-kitab Al-arabi Publications.
- Al-khalil bin ahmad.(No date) *"Al-eayn"*, Research: Mahdi Al-makhzumi and librahim 'anys, Bayrut: dar Al-hilal Publications.
- Abu hilalal Al-askary, A. (1981), *"Al-furuq Al-lughawi"*, Publications: hesam Al-diyn Alqudsi, Bayrut: dar Al-kutub Al-elmi. Publications.
- Seyyed qotb. (1978). *"Fi Al-tarik fekra wa minhaj"*, 2th edition, Egypt: dar Al-shuruq Publications.
- Seyyed qotb, (1979). *"Fi zilal Al-quran"*, 2th edition, Bayrut: da Al-shuruq Publications.

Rhetorical study of prepositions with Evidence from the Qur'an

Al-zamkhashari, M. (No date). "*Al-kashaf*", Bayrut: dar Al-kitab Al-arabi Publications.

Ebn manzur, M. (1968), "*Lesan Al-arab*", Bayrut: dar sader Publications.

Al-saahib bin eibad, (1994). "*Al-muhit fi Al-lughah*", Research: Mohammad hussein al yasin, 1th edition, Bayrut: alam Alkutub Publications.

Fazil Al-samraei. (1991) "*Maeani Al-nhw*", Baghdad: dar Al-hikmat Publications.

Hani abd Al-rahim, (2005). "*Mojam mustalehat Al-jughrafia Al-askariah wa Isiyasyh*", 1th edition, dar majdalawi Publications.

Abd Al-baqi, M., (1945), "*Al-mojam Al-mufaharas li'al-faz Al-Quran*", Cairo: dar Al-kutub Egyptian.

Al-raghib Al-esfihani. A., (No date). "*Al-mufradat*", Research: Mohammad seyyed keylani, Bayrut: dar Al-maerifah Publications.

Ebn fares. A., (1979), "*Maqayis Allughah*", Research: Abd Al-salam Mohammad harun, Bayrut: dar Al-fekr Publications.